فتقلّدها يوسف اودو مطران العمادية (عدد ١٢٠—١٣١) — ثم ايليا عبو اليونان مطران الجزيرة (عدد ١٣٢—١٣٣) ثم عبد يشوع خياط مطران ديار بكر (١٣٧—١٤٢) — ثم يوسف عمانوئيل توما مطران سعرت (عدد ١٤٤) وهو الذي يدير اليوم الطائفة الكلدانية بغيرة اشبه بغيرة الرسل وقد علّقت فيه هذه الطائفة آمالاً عظيمة لنجاحها لما رأت من عالي درايته وحسن سياسته امدّ الله في ايامه وادامه في راس ابنائه تاج عز وفخر

ومما قلناهُ حتى الآن وان كان على سبيل الاستطراد يتحقّق القارئ ما لكتابنا من المقام الرفيع في تاريخ الكنيسة وكم قد تجشم مؤلفهُ من التعب والنصب في جمعه فلا يسعنا الّا ان نكرر الثناء والشكر على ما أولى الطائفة الكلدانية من الفضل والاحسان

هذا وفي الختام فلاحظ ان ما من احد يطالع كتابنا الّا ويستفيق من خلال صحائفه امرين يلمعان لهُ بنور ساطع: اولهما ان الاحبار الرومانيين قد بذلوا قصارى جهدهم وعانوا عناء جزيلاً ولم يدعوا واسطةً الّا واتخذوها لاصلاح احوال بلادنا الشرقيّة وردها من الضلال الى اعتناق الحق غيرةً منهم على حفظ وحدة الكنيسة تاكيدًا لِمَا كرّرهُ لاون الثالث عشر مرارًا كثيرة. والامر الثاني ان الكنيسة الكلدانيّة مع وجودها في بلادٍ بعيدة قد اعترفت دائمًا وفي كل مكان حتى في النسطرة بان الحبر الروماني هو رئيس الكنيسة الجامعة وراعي رعاتها لكونهِ خليفة بطرس هامة الرسل. وسنفرد مقالات خصوصيّة لكل من هاتين القضيّتين في ما يأتي ان شاء الله

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٧ الجراجمة

قد رأى القرّاء ما في مسألة المردة من المعضلات التي لم يحلّها حتى الآن فطاحل العلماء (راجع المشرق ٥: ٨٨٦ و ٩١٤) على انّ هذا المطلب يقودنا الى بحث آخر لهُ معهُ بعض العلاقة نعني بذلك امّة الجراجمة

يفيدنا التاريخ ان في القرن التاسع قبل الميلاد كانت في شمالي غربي سوريَّة مملكةٌ صغرى تدعى جرجومة عاصمتها مرعش. والمرجَّح انَّ هذه الدولة أُنشئت من بقايا دولة الحثيين البائدة (راجع المشرق ٥: ٧٥٩) خلفتها في ولاية قسم من بلادها في زمنٍ لا يمكن تعريفهُ بالتدقيق. بيد أنَّنا نعلم ان اهل هذه المملكة لم يكونوا من عنصر آرامي لانَّ دولة الآراميين لم تمتدَّ الى تلك الجهات على الاقل في الجيل المذكور. واسم الجراجمة واردٌ في الكتابات الاشوريَّة التي تفيض في احوال هذا الشعب والتقلُّبات التي طرأت عليه. ولا نجد بعد الآثار البابلية ذكرًا للجراجمة الى عهد الردة في لبنان اعني القرن السابع للمسيح

قال البلاذري في كتاب فتوح البلدان (ص ١٥٩—١٦٣) في مطاوي كلامهِ عن فتح العرب لبلاد الشام: «انَّ الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُّكَّام عند معدن الزاج فيما بين بيَّاس وبوقا.(١ يقال لها الجرجومة» فيظهر من هذا القول انَّ الجراجمة لم يلبثوا ساكنين في المكان الذي اشارت اليه كتابات الاشوريين قبل خمسة عشر قرنًا الَّا انهم كانوا منحصرين في قسم من اللكَّام (ألما داغ) بين مدينة بيَّاس الساحليَّة ونهر قراسو. وكانت مدينتهم الكبرى التي منها اتَّخذوا اسمهم لا تزال تدعى جرجومة

ثم يذكر البلاذريّ تاريخ الجراجمة على مألوف عادتهِ في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامهِ بعض الابهام لانهُ يروي في حقِّهم الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدَّ ذهنهُ في اثبات صحَّتها او التوفيق بينها. الَّا انَّ الذي يتروَّى في كلامهِ ويقابل بين هذه الروايات الشتَّى يأخذهُ الاندهال لما يجد بين اخبار الجراجمة والردة من التشابه. فان ما ذكرهُ المؤرخون اليونان عن قدوم الردة من شمالي سوريَّة الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص وبعلبك ودمشق قد رواهُ البلاذري عن الجراجمة على عهد الخليفة الاموي عبد الملك وهو على وشك السير الى بلاد العراق. ثم اردف البلاذريّ قولهُ بقولهِ «وصَوَتَ اليها (اي الروم) جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد آبَق من عبيد المسلمين» وهو كلامٌ ينطبق على قول المؤرخ تاوفان في الرِّدة كانَّ المؤرخَين اليونانيَّ والعربيَّ سندا قولهما الى رواية واحدة لا تكاد تختلف حتى في اللفظ

ثم ينتهي امر الجراجمة في تاريخ البلاذري كما ينتهي امر الردة في تاريخ تاوفان

١) لم نجد في كتب البلدان الجغرافيَّ العرب ما يعرِّفنا بموقع بوقا الَّا كونها من عمل انطاكية

اعني بعقد معاهدة بين الخليفة الاموي وملك الروم. وكان من نتيجة ابرام الصلح كما روى البلاذري (ص ٢٦٠) ان « تفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم في اللكّام » وهي ايضاً رواية شبيهة برواية تاوفان عن تفرّق المردة ورجوعهم الى وطنهم. اما مدينة جرجومة فخربت بعد ذلك بزمن قليل

ومما روى ايضاً البلاذري (ص ١٦١) في تاريخ سنة ٨٩ هـ (٧٠٨ م) انّ الوليد بن عبد الملك وجّه الى الجراجمة مَسْلَمة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم على ان ينزلوا بحيث احبّوا من الشام وعلى ان لا يُكرَهوا على ترك النصرانيّة ولا يؤخذ منهم جزية... اما بطريقهم فنزل في جماعة معهُ انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم. وجاء في فتوح البلدان ايضاً انّ الخلفاء اجروا الارزاق على هؤلاء الجراجمة واستعانوا بهم في حروبهم (١ وما ذلك الّا لانّ موقع بلادهم كان في جبال ومضايق تجري فيها صوائف العرب عند نفوذهم في بلاد الروم. وكلُّ هذه التفاصيل التي ذكرها البلاذري لا نكاد نجد لها اثرًا في كتبة العرب اللهمّ الّا ياقوت في كتاب معجم البلدان في مادّة « جرجومة » وهو ينقل هناك شيئاً ممّا اثبتهُ البلاذري. ويظهر من كلام ياقوت انّ الجراجمة في زمانهِ كانوا امتزجوا بغيرهم من الملل وانّ جرجومة عاصمتهم لم تزل خرابًا. وفي تاريخ حمزة الاصفهاني (ص ٣٩) ورد ذكر « مَن بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة »

ولا بُدَّ ان يسألنا القارئ هنا عن رأينا في الجراجمة ايكونون من المردة او يمتازون عنهم (٢. (قلنا) انّ ما يوجد من الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة من حيث موقع بلاد الفريقين وبسالتهما في الحروب وتواريخهما يحملنا على ان نطابق بينهما. ولا غرو فانّ اعظم المستشرقين في المانية وهو العلاّمة نُلدِك (Nöldeke) يؤكد لنا ان العرب في تواريخهم يدعون المردة باسم الجراجمة. وانّ كليهما امّة واحدة (٣ ونحن ايضاً

---

١) راجع فتوح البلدان ص ١٦١. ومعجم البلدان لياقوت في مادّة جرجومة

٢) الجرامقة قوم من انباط او آراميي العراق وقد ارتأى نُلدِك الالماني الشهير انّ كتبة العرب لم يفرقوا بين الجراجمة والجرامقة والصواب انّ الجرامقة غير الجراجمة. وعندنا ان فرقة من الجرامقة استوطنوا الشام كما يظهر من تاريخ حمزة (ص ٢٥ و ٢٩) وياقوت (١: ٣٦) وكلاهما يذكر « جرامقة الشام » ولدلّ « جبلي جرمق » في جنوبي لبنان وبلاد بشارة نُسبا اليهم

٣) راجع المجلة الالمانية الاسيويّة ZDMG, 1873, p.8. وقد قال نُلدِك في ذيل تلك الصفحة « انّ العلماء لم يثبتوا حتّى الآن وحدة المرّدة والموارنة »

نصادق على كلام هذا الكاتب الثقة بعد التروي في ما كتب بهذا الصدد وان كنا نجد في اقوال البلاذريّ بعض الإشكال الّا انّ ذلك في الامور العرضيّة دون الاصليّة

فان صحّ هذا القول نتجت عنهُ نتائج في امر المردة لم ينتبه اليها الكتبة الاقدمون. منها ان هؤلاء القوم لم يكونوا من اهل لبنان الاصليين بل قدموا اليها من شماليّ سوريّة اذ انّ الجراجمة على قول البلاذري كانوا يسكنون جبل اللكّام الذي يختلف عن لبنان. وممّا يثبت انّ هؤلاء الجراجمة لم يكونوا آراميين اي من اهل سوريّة الاصليين انّ البلاذري يذكر في جملة من اقتوى اليهم الانباط وهو الاثم الذي يدلُّ بهِ كتبة العرب على العنصر الآرامي(١). وكذلك اذا فحصنا عن الامر على حسب قوانين علم الجغرافية وعلم اصول الشعوب وجدنا انّ الجراجمة ينتسبون الى آسيّة الصغرى ولذلك نراهم يرحلون بعدئذٍ الى بلاد الروم ويسكنون قيليقية لقرب موطنهم منها. وفي فتوح البلدان للبلاذري انهم احتلّوا جبل الحوّار وهو من اعمال قيليقية كما نبّه اليه ياقوت في المادّة

وممّا يستفاد ايضاً من كلام البلاذري امرٌ آخر ذو بال وهو انّ قسماً من الجراجمة كانوا ضربوا اطنابهم في لبنان قال في اثناء كلامهِ عن الجراجمة (ص ١٦٢): « خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبكّ فوجّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس من قتل مقاتلتهم واقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان » وهذا دليل واضح انّ قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان. وليس هذا حدساً على سبيل التخمين بل امرٌ راهن يثبتهُ المؤلف نفسهُ في كلامهِ عن ميمون الرومي المعروف بالجرجمانيّ. وكان مولى لبني امّ الحكم اخت معاوية ابن ابي سفيان قال (ص ١٦٠ و ١٦١) « وانّما نُسب الى الجراجمة لاختلاطهِ بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم » فكان اذن في لبنان قومٌ من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانهُ

فترى من بحثنا هذا الحاضر ما يؤيّد قولنا السابق في انّ المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحداً قد كانت على الاقلّ بينهم علاقات متينة. وكذا قل عن الجراجمة ولذلك افردنا لهم فصلاً ونظمناهم في سلك الامم التي سكنت لبنان. وسنبيّن قريباً انّ هذه الامم كلّها امتزجت بعد قليل امتزاج الماء بالراح (ستأتي البقيّة)

(١) راجع المجلة الاسيويّة الالمانية ZDMG, 1871, p. 124-125